كتاب موسى المفقود - الجزء الخامس.

بحث وإعداد: ميرنا جردلي.

تدقيق وإشراف: الأستاذ موّفّق البغداديّ

إبراهيمُ عليه السلامُ:

والآن لنعود لزمن سيدنا إبراهيمَ عليه السلامُ، وكما أسلفنا سابقًا أنه كان لإبراهيمَ منزلةٌ ومكانةٌ عاليةٌ واستحق أن يكون الإمامَ ويكون أمةً بذاتهِ وأسوةً لنا وخاصةً بعد تحصله على الكتابِ بالإضافةِ لرفعه القواعدَ من البيتِ وإيمانه اليقيني باللهِ وغير ذلك من المراتبِ التي وصلها.

ففي **سورة النّساءِ: أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾.**

سورة الحديدِ: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾.

سورة البقرةِ: قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾.

سورة ءالِ عمرانَ: قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾.

يتضح لنا هنا أن إبراهيمَ وحتى من بعد الرسلِ السابقينَ وكتابهم فقد كان هو خاصةً من برز أكثرهم في موضوع هذا الكتابِ ولذلك نعود فنقول إن جميع الأنبياءِ والرسلِ والناسِ أجمعينَ مأمورين باتباع ملةِ إبراهيمَ.

سورة النّحلِ: إِنَّ إِبْرٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبٰهُ وَهَدٰهُ إِلَىٰ صِرٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾.

ولا بدّ من الإشارة هنا أن المفردة أمةٌ تدل على أنه كان إمامًا للناسِ وبنفس الوقت يأتمّ بأمر اللهِ، فالأمةُ هي مفردةٌ تدل على آمٌّ بمعنى يؤمّ النّاس فهو موئِمّ للنآس ومؤتّمٌّ بأمر الله.

سورة البقرةِ: وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾.

سورة البقرةِ: وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرٰهِۦمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾.

سورة ءالِ عمرانَ: قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾.

سورة البقرةِ: وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرٰهِۦمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرٰهِۦمَ وَإِسْمٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾.

سورة النّساءِ: وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرٰهِيمَ حَنِيفًا وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾.

سورة الأنعامِ: قُلْ إِنَّنِى هَدٰىنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾.

وفي سورة يوسفَ: وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾.

سورة الحجِّ: وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾.

وكل هذه الأوصاف كانت بسبب قدرِ ورفعةِ إبراهيمَ عليه السلامُ بسبب هذا الكتابِ الأعظمِ بالإضافة إلى أن اللهَ سبحانه قد حباه برفع القواعدِ من البيتِ ولنا في هذا وقفةٌ.

سورة الممتحنةِ: قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾.

نعود ونكمل مع باقي أنبياء الله ما بين إبراهيمَ وموسى عليهم السلام.

لوطٌ عليه السلامُ:

سورة الأعرافِ: وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾.

سورة العنكبوت: وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾.

فيتبين لنا أن لوطًا كان يعرف أحكامَ اللهِ ومنها أن فعلَ قومه هو فاحشةٌ وهو شيءٌ محرّمٌ من عند اللهِ، وكانوا يقطعون السبيل الذي هو أيضا إفساد في الأرض، وبما أنه كان في زمنِ إبراهيمَ كما ورد في القرءانِ العظيمِ فليس من الممكن ألّا يكون على علمٍ بموضوع كتابِ إبراهيمَ، ففي **سورة العنكبوتِ: فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾.**

فلا بدّ وأن لوطًا قد آمن برسالةِ إبراهيمَ بدايةً ومن ضمنها الكتابُ.

شعيبٌ عليه السلامُ:

سورة هودٍ: وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم

مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾.

قوله في الآيات السابقة: **لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ**، يوضح أنه علم ما أصاب الأقوام السابقة وهذا بعض من كتاب الذكرِ الذي يقصّ على الأنبياء والرسل قصص من سبقوهم من الأمم كما سنعرف لاحقًا في البحث المفصل عن الذكرِ والذي سيتبع بحثنا هذا عن موضوع الكتابِ.

في الحقيقة تعمدت هنا أن أتوسع في كلام شعيبٍ مع قومه، فإذا دققنا في كل كلمةٍ نرى أنها صادرةٌ عن كتابٍ مفصلٍ فيه أحكامُ اللهِ ووعده ووعيده وأسماؤه وصفاته وغيرها وهذا أيضًا من فحوى الكتابِ.

سورة الأعرافِ: وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾.

سورة الأعرافِ: فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾.

واضح من الآيات السابقة أيضا أنّ شعيبًا يتكلم عن رسالةٍ وهذه الرسالة هي أيضًا من الكتابُ.

إسماعيلُ عليه السلامُ:

سورة مريمَ: وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾.

نلاحظ هنا أن الصلاةَ والزكاةَ من الدينِ وقد فرضتا على جميع الأقوامِ، ولا داعي للتذكير أن إسماعيلَ هو ولدُ إبراهيمَ ولا بدّ وأن يكون قد تحصل على الكتابِ المنزّلِ لإبراهيمَ.

إسحاقُ ويعقوبُ عليهما السلامُ:

سورة العنكبوتِ: وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾.

وكون إسماعيلَ ولدُ إبراهيمَ فممّا لا شكّ فيه أنه قد وصلته الرسالةُ من أبيه وكذلك بالنسبة لإسحاقَ ومن بعده ابنه يعقوبَ عليهم السلامُ جميعًا.

وأذكّر **بسورة النّساءِ: إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾.**

وحين حضر يعقوبُ الموتَ، فقد وصّى بنيه بالدينِ وهو دينُ اللهِ الذي أنزله على جميع الرسلِ ومنهم إبراهيمَ وبالتّالي محتوى كتابِ اللهِ كان قد وصل للجميعِ.

سورة البقرةِ: أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾.

يوسفُ عليه السلامُ:

سورة غافرٍ: وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾.

سورة يوسفَ: رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾.

يوسفُ أيضًا وهو ولدٌ ليعقوبَ وواضح أن الله اختاره رسولًا وبما أنّ يعقوبَ عليه السّلام قد وصى بنيه برسالةِ إبراهيمَ فلا بدّ وأن يوسفَ والّذي هو أفضل وأحب أبنائه إليه قد حمل هذه الرسالةِ.

ولابدّ من التنويه هنا، أن يعقوبَ لا يمكن أن يكون إسرائيلَ، وببساطةٍ أقول أن موسى عليه السلامُ كان قد بعث في بني إسرائيلَ الذين كانوا مستعبدين من قبل آل فرعونَ المصريين العربِ، وعند العودة لقصة يوسفَ عليه السلامُ نجد أنه استلم الحكمَ أو ما قدّر له أن يحكم في مصرَ في زمن قوم آل فرعونَ وقبل موسى عليه السلامُ بفترةٍ، ونجد من خلال قصته وقصة موسى عليهما السلامُ، أن قوم فرعونَ وقوم بني إسرائيلَ كانوا أعداءً، ولكن في وقت المجاعةِ التي حصلت في عصر يوسفَ عليه السلامُ، فقد كان يوسف عليه السّلام يساعد آل فرعون ومن حولهم ممن هم في حدود ملكه، ومنهم كان يعقوبُ وأهله عليهم السلام، ومن البديهي أنهم لم يساعدوا بني إسرائيلَ كونهم يكنّون لبعض العداءِ، فبالتالي لا بد أن آل يعقوبَ وآل فرعونَ، كلاهما كانوا عربًا مسلمينَ، على عكس بنو إسرائيلَ، وهذا يبدو جليًّا في **سورة غافرٍ: وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ**

وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ ﴿٣٤﴾.

يتضح لنا هنا أن هذا الرجلَ المؤمنَ والذي جاء آل فرعونَ قام بتذكيرهم بأن يوسفَ عليه السلام كان قد جاءهم من قبل، وبالتالي فكيف يكون بنو إسرائيلَ مصريين وعربًا مثل آل فرعونَ وآل يعقوبَ وهم أصلا أعداء لبعض.

ولابدّ من التنويه هنا أنّ أولاد يعقوب عليه السلام لا يمكن أن يكونوا نفسهم الأسباط الذين جاءوا في قصّة موسى، فأسباط موسى دلّل عليهم في القرءان أنهم أمما لا أشخاصا، وثانيا، وجدوا في عهد موسى لا يعقوب عليهما السلام، **سورة الأعراف: وَقَطَّعۡنَٰهُمُ ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ أَسۡبَاطًا أُمَمٗاۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰهُ قَوۡمُهُۥٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنۢبَجَسَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۚ وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلۡغَمَٰمَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿١٦٠﴾.**

والحقيقة لا أدري ما الغاية الملّحة جدًا لجعل إسرائيل هو يعقوب ونسبته لإبراهيم عليهم السلام جميعا! لربما هي محاولة بائسة من بني إسرائيل بأن ينسبوا أنفسهم لإبراهيم وبالتالي لمحمد عليهما السلام في محاولة أخيرة للإبقاء على تفضيل الله لهم.

يونسُ عليه السلامُ:

نلاحظ في الخطاب في الآية التّالية وعلى لسان يونسَ أنّه تحدى الكفارَ بأن يأتوا بكتابهم بعد إنكارهم لما جاءهم به من عند اللهِ وطبعًا هذا يؤكد أنّه كان معه كتابٌ ورفضوه فسألهم أن يأتوه بكتابهم ليثبتوا إن كانوا على حقٍ أم لا.

سورة الصّافاتِ: مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُواْ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾.

وفي سورة النساء: إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾.

وهنالك أيضًا رسلا بعثهم الله، ممن لم يخبر عنهم بشيء أو ممن أشار لهم ولم يذكر أسماءهم، فمثلًا في **سورة يسٍ: وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُواْ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾.**

من الواضح من سياق الآيات أن المرسلين جاءوا أقوامهم بشيءٍ أنزله الله ولكن تمّ تكذيبهم، فأصبح جليًا أن ما ينزَّل هو نفس الكتابِ أو بالأخصّ ذلك الكتابُ.

موسى عليه السلامُ:

ونعود لموسى عليه السّلام وهو محور هذا البحثِ، وهنا فأنني أرى أنّ حبكة هذا البحث تتمحور بين موسى عليه السلامُ في الوسطِ وإبراهيمَ عليه السلامُ بدايةً ومحمدٍ عليه السّلام ختامًا، فقد جاء إبراهيمُ عليه السلامُ

بهذا الكتابِ وتمّ التركيز عليه في القرءانِ مع أننا لاحظنا أن نوحًا عليه السلامُ هو أيضًا تحصل على الذّكر و هو محتوى الكتابِ، ومع كل هذا التركيز على إبراهيمَ عليه السلامُ فلابد من التنويه على أن كتاب إبراهيمَ عليه السلامُ لم يكن حينها موجهًا لبني إسرائيلَ حيث تحول ونقل إلى بني إسرائيلَ بعدما نزل لموسى عليه السلامُ، بحيث أنّ الله تعالى، وعندما جاءهم موسى عليه السلامُ بكتابٍ منزّلٍ - ولا داعي للتذكير أن موسى عليه السلامُ هو أصلا من بني إسرائيلَ، وقد أوضح الله لنا ذلك صراحةً في القرءانِ العظيمِ - لكنهم استمروا بتعنتهم وكفرهم والصد عن سبيل اللهِ.

فعندما فضل الله تعالى بني إسرائيلَ على باقي البشر فضلهم بأن جعل هذا الكتابَ العظيمَ بينهم دون عن باقي البشر وأصبح يُتوارث فيما بينهم بالإضافة أنه جعلهم ملوكًا وجعل منهم أنبياءَ.

سورة غافرِ: وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾.

ومع ذلك، ومن خلال قصص بني إسرائيلَ في القرءان، فالواضح لنا أنّهم احتكروا هذا الكتابَ بلّ وعوضًا عن تبيينه للناسِ وحمل الرسالةِ كما كان من الواجب عليهم، فقد قاموا بإخفائه بِغية أن يكون هذا الشرفُ الكبيرُ لهم فقط دون باقي البشر، ليس ذلك فقط، فبإخفاء الكتاب عن عامة الناس سيُخلق هذا الكهنوت الذي أرادوه فيصبحوا مرجعًا للناس ويصبحون الوحيدين المتحدثين باسم الله، فيرتفع شأنهم ويسوقون الناس كالقطيع مستغلين جهل الناس بالكتاب وبأوامر الله بقصد المكاسب والمناصب، ومع ذلك، فقد استمر الله في إرسال رسلًا لهم لهدايتهم دون جدوى إلا قليلا منهم.

ومِن خلال تدبّر كتاب الله عز وجل فيبدو لي أن الله سبحانه وتعالى قد قرر أن يحرمهم هذا الشّرفَ العظيمَ وذلك عن طريق إنزال الكتابِ على غيرهم، ومع ذلك فلم ينزله مباشرةً على قومٍ غيرهم بلّ أرى أنّه أعطاهم فرصةً أخيرةً وكانت عندما بعث الله عيسى عليه السّلامَ، فعيسى عليه السّلامُ وكما نعلم جميعًا ولد بدون أبٍ

وبالتالي فهو لا يعتبر من بني إسرائيلَ، وهنا وبدل أن يعيدوا حساباتهم فقد شعروا أنّ الكتابَ والّذي أصبح مع عيسى عليه السّلامُ سيخرج من سيطرتهم لأن عيسى عليه السلامُ ليس منهم وليس من قومهم، وكلنا نعلم أن أي شخصٍ ينسب إلى أبيه، وبالتالي إلى قوم أبيه، ولكن عيسى عليه السلامُ لا يمكن أن ينسب إلى أي قومٍ كونه لا أبَّ له، إذن هو ليس من بني إسرائيلَ، ولهذا السبب حاربوه وأرادوا صلبه وقتله، مع العلم أن الله لم ينزّل الكتابَ على عيسى عليه السلامُ بل آتاه وعلمه إياه فالذي أتى به فعليا كان كتاب موسى عليه السلامُ، بمعنى أن الكتابَ لم يخرج من بينهم مباشرةً، وأرى هنا أن الله أعطاهم آخر فرصةٍ وبحكمةٍ منه سبحانه وتعالى وكان بإمكانهم أن يتبعوا عيسى عليه السلامُ مع كل ما جاءهم من بيناتٍ وبراهينَ فيبقون على الكتابِ بين أياديهم، ولكن وكعادة بني إسرائيلَ فقد اشتد غيظهم وحقدهم، فماذا لو أن الكتابَ أنزل مباشرةً على قومٍ آخرين غيرهم دون هذا التّدرج الإلهي الحكيم في جعل الكتابِ لغيرهم، لكم أن تتخيلوا، ومع ذلك، فقد فعلوا ما فعلوه بعيسى عليه السلامُ بل وتقولوا عليه بشتى الأقاويل والافتراءات ومن ضمنها أنه لم يكن بارًا بأمه وكان يضربها ويؤذيها، وهذا موضوع خطير جدًا فبشريعتهم كانوا يقتلون العاصي لوالديه وفعلوا مثل هذا مع يحيى عليه السلام، ففي الشريعة اليهودية، يُعتبر **عقوق الوالدين** من الذنوب الخطيرة، وقد ورد في التوراة أن عقوبة الابن العاق قد تصل إلى **الرجم حتى الموت** في بعض الحالات القصوى، خاصة إذا كان متمردًا وعاصيًا بشكل مستمر.

المصدر والتفاصيل:

ورد هذا الحكم في **سفر التثنية21-18 :21**، حيث تنص الآيات على أن الابن الذي يكون عنيدًا ومتمردًا، ولا يطيع والديه حتى بعد تأديبهما له، يُؤتى به إلى شيوخ المدينة ويُرجم حتى الموت.

نص الآيات من سفر التثنية ٢١: ١٨-٢١:

١٨ إِذَا كَانَ لِرَجُلٍ **ابْنٌ مُعَانِدٌ وَمَارِدٌ**، لاَ يَسْمَعُ لِقَوْلِ أَبِيهِ وَلاَ لِقَوْلِ أُمِّهِ، وَوَبَّخَاهُ فَلَمْ يَسْمَعْ لَهُمَا،

١٩ يُمْسِكُهُ أَبُوهُ وَأُمُّهُ وَيَأْتِيَانِ بِهِ إِلَى شُيُوخِ مَدِينَتِهِ وَإِلَى بَابِ مَكَانِهِ،

٢٠ وَيَقُولُونَ لِشُيُوخِ مَدِينَتِهِ: «ابْنُنَا هذَا **مُعَانِدٌ وَمَارِدٌ، لاَ يَسْمَعُ لِقَوْلِنَا، وَهُوَ مُسْرِفٌ وَسَكِّرَانُ**.«

٢١ فَيَرْجُمُهُ جَمِيعُ رِجَالِ مَدِينَتِهِ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى يَمُوتَ. فَتَنْزِعُ الشَّرَّ مِنْ بَيْنِكُمْ، وَيَسْمَعُ كُلُّ إِسْرَائِيلَ وَيَخَافُونَ".

ولذلك فقد برأه الله هو ويحيى عليهما السلام من مثل هذه الأقوال وكشف بهتانهم وزيف قولهم، ففي **سورة مريم: وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾.**

وبنفس السورة برأ وكشف تبليهم على يحيى: **يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾.**

وحاربوه بشتّى الطّرق وكادوا أن يصلبوه فيقتلوه لولا أن نجاه الله سبحانه وتعالى من كيدهم حيث توفاه ورَفعه إليه.

ومن بعد أن نزل الكتابُ على محمدٍ عليه السلامُ ازدادوا غيظًا وحقدًا فهنا ثبتت لهم مخاوفهم من فقدان هذا الشرفِ وانتهاء التفضيل الذي كان الله قد حباهم به فقد كانوا يعتقدون أنهم ومهما فعلوا من معاصي فسيبقى الله يفضّلهم على العالمين وكانوا يعتقدون أن الرسولَ الأميّ المذكور عندهم سيكون حتمًا من بني إسرائيلَ، وهنا كانت معركةٌ أخرى جديدة بين الخير والشر بعد أن بدأت بين إبليسَ وآدمَ لتنتقل فتصبح بين بني إسرائيلَ ومحمدٍ عليه السلامُ وقومه.

وبدأ التفضيل لقومٍ آخرين غير بني إسرائيلَ هم بنو العرب، حيث وكما علّمنا الله في كتابه الحكيمِ، أن الأرضَ يورثها لمن يشاء من عباده والواضح الجلي أن بني إسرائيلَ لم يعودوا منهم.

سورة الدّخانِ: فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾.

سورة البقرةِ: وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ٱهْبِطُواْ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾.

ولا داعي للتذكير أنّ مصرُ كانت لآل فرعونَ لتصبح ملكًا لبني إسرائيلَ.

سورة الزّخرف: وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾.

وهنا بدأ التفضيل لأمة محمدٍ عليه الصلاةُ والسلامُ.

سورة البقرةِ: وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾.